الرسالـــــة

قال الشافعي : والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعةِ الأصول متشعبةِ الفروع : .

فأقلّ ُ ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة : أنها بيانٌ لمن خوطب بها ممن نزل القُرَآن بلسانه متقاربة الاستواء عنده وإن كان بعضها أشدّ َ تأكيدَ بيانٍ من بعض . ومختلفةٌ عند من يجهل لسان العرب .

قال الشافعي : فجِمَاع ما أبان ا لخلقه في كتابه مما تَعَبّ َدَهم به لما مضى من حكمه جل ثناؤه : من وجوه .

فمنها ما أبانه لخلقه نصاً . مثلُ جمُل فرائضه في أن عليهم صلاةً وزكاةً وحجاً وصوماً وأنه حرّ َم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ونصّ ِ الزنا (1) والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وبيّ َن لهم كيف فَرْضُ الوضوء مع غير ذلك مما بين نصاً . (ص 22) .

ومنه : ما أَحكم فرضه بكتابه وبيّ َن كيف هو على لسان نبيه ؟ مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه .

ومنه : ما سَنّ َ رسول ا A مما ليس فيه نصّ ُ حكم وقد فرض ا في كتابه طاعة رسوله A والانتهاء إلى حكمه فمَن قبل عن رسول ا فبِفَرْضِ ا قَبِل .

ومنه : ما فرض ا على خلقه الاجتهادَ في طلبه وابتلى طاعتهم في الاجتهاد كما ابتلى طاعتهم في غيره مما فرض عليهم .

فإنه يقول تبارك وتعالى : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوَ أخباركم) (محمد 31) (ص 23) .

وقال : (وليَبْتَلِيَ ا ما في صدوركم وليمحّ ِص ما في قلوبكم) (آل عمران 154) .

وقال : (عسى ربكم أن يهلكَ عدوكم ويستخلفَكم في الأرض فينظرَ كيف تعملون ؟) (الأعراف 129) .

قال الشافعي : فوجّ َههم بالقبلة إلى المسجد الحرام وقال لنبيه : (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلَنُوَلّ ِيَنّ َك قبلة ترضاها فولّ ِ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) (البقرة 144) .

وقال : (ومن خرجت فولّ ِ وجهك شطرَ المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكونَ للناس عليكم حجةٌ) (البقرة 150) .

فَدَلهّ َم جل ثناؤه إذا غابوا عن عين المسجد الحرام على صواب الاجتهاد مما فرَض عليهم منه بالعقول التي رَكّ َب فيهم المميزةِ بين الأشياء وأضدادها والعلامات التي نَصَب لهم

دون عين المسجد الحرام الذي أمرهم بالتوجه شطره . (ص 24) .

فقال : (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) (الأنعام 97) وقال : (وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون) (النحل 16) .

فكانت العلامات جبالاً وليلاً ونهاراً فيها أرواح (2) معروفة الأسماء وإن كانت مختلفة المَهابّ . وشمسٌ وقمر ونجوم معروفةُ المطالع والمغارب والمواضعِ من الفلك .

ففرض عليهم الاجتهاد بالتوجه شطر المسجد الحرام مما دلهم عليه مما وصَفْتُ فكانوا ما كانوا مجتهدين غيرَ مُزايِلين أمرَه جلّ ثناؤه . ولم يجعل لهم إذا غاب عنهم عين المسجد الحرام أن يُصلّوا حيث شاؤوا (ص 25) .

وكذلك أخبرهم عن قضائه فقال : (أيحسب الإنسان أن يُترَك سُدى) (القيامة 36) والسُّدى : الذي لا يُؤمر ولا يُنهى .

وهذا يدل على أنه ليس لأحد دون رسول ا أن يقول إلا بالاستدلال بما وصفت في هذا وفي العَدل وفي جزاء الصيد ولا يقول بما استحسن فإن القول بما استحسن شيءٌ يُحدِثه لا على مثالٍ سبق .

فأمرهم أن يُشهدوا ذوَي عدل والعدل : أن يعمل بطاعة ا فكان لهم السبيلُ إلى علم العدل والذي يخالفه .

وقد وُضِع هذا في موضعه وقد وضعت جملاً منه رجوت أن تدل على ما وراءها مما في مثل معناها . (ص 26) .

. _____

(1) أي ومثل النص الوارد في الزنا والخمر .

(2) الأرواح : جمع ريح . انظر الصحاح